الراوي في مسرحية "الليلة"

(مونودراما)

تأليف: خالد الصاوي

الراوي

في مسرحية الليلة

(مونودراما)

تأليف

خالد الصاوي

(قاعة عرض مسرحي.. لا يوجد ستار.. مقعد كبير يوحي بأنه كرسي عرش.. المسرح مضاء قاعة وخشبة ولكن إضاءة القاعة أخف قليلا.. يدخل رجل في الأربعين يرتدي ثوبا طويلا غامق اللون كراوٍ في إحدى المسرحيات التاريخية.. يبدو مضطربا اضطرابا خفيفا يأتي من باطنه ويتصاعد)

- - - - - - - - - - - -

سيداتي آنساتي سادتي، مساء الخير.. أتشرف بأن أقدم لكم نفسي.. أنا الراوي في مسرحية الليلة.. المسرحية التي تعرض بنجاح لها الآن خمسة مواسم.. عرضت خلالها على عدد من مسارح الجمهورية كما عرضت على عدد من مسارح البلدان العربية الشقيقة محققة نجاحا عظيما.. سأتولى تقديم الشخصيات المسرحية تباعا.. وسأقص عليكم بعض الأحداث بين الحين والآخر (يشرد لحظة.. لنفسه).. بين الحين والآخر... أ.. أتمنى لكم سهرة سعيدة.

هذا هو البلاط الملكي.. البلاط الذي شهد المؤامرة الكبرى.. (لنفسه) اللعنة!!.. !.. البلاط الذي شهد المؤامرة الكبرى (لنفسه).. اللعنة!

(يبتسم) عفوا.. البلاط الذي شهد المؤامرة الـ ـ (لحظـة شرود).. الكبرى.

ستدخل الآن الملكة الأم وهي شيخة مسنة تدير القصر منذ سبعين عاما (باشمئزاز) منذ سبعين عاما.. شـيخة عتيقـة.. هرمة.. كتلة من الضجيج واللحم المترهل!. وعلـي الآن أن أفسح لها الطريق رغما عني.. إنها الـ... بطلة (يتنبـه) أ.. أقصد الملكة.. الدور الرئيسي في هذه المسـرحية.. وهنـاك أدوار رئيسية أخرى.. هنـاك الملـك والملكـة الزوجـة.. والـوزير.. وأدوار ثانويـة هامـة (بقـرف) وكومبـارس لا يريدون أن يكبروا.. والمخرج.. والمؤلف.. و.. وكلهم.. كلهم عظام.. إلا.. أ.. عفوا.. سأترك الخشـبة الآن لأفسـح المجال.. إلى.. أقول كلهم.. عظام مدربون.. مشـهورون.. نجوم.. المسألة مسألة دربة ومران وموهبة بالطبع.. الموهبة هامة.. ولكن المران هام هو الآخر.. أنا مثلا منـذ خمـس سنوات وأنا ألعب نفس الدور.. دور الـراوي.. وهـو دور لا يقل أهمية درامية عن أي من الأدوار الأخـرى.. حجـم الدور أو بالأحرى مساحة الدور.. زمنه.. كل هذا لا يهـم.. المهم هو أهميته الدرامية.. (لنفسه) اللعنة! (يصرخ) اللعنـة!

هذا يكفي.. الآن أقول لكم.. اسمعوا.. أنا الراوي.. نعم.. هذا صحيح.. ولي سنوات خمس أعمل مع هذه الفرقة اللعينـة.. نعم.. هذا صحيح.. وكان المفروض أن تدخل الملكـة الأم.. العجوز التي صارت كتلة سـوس منخـورة إلـى القاعـة الرئيسية.. صحيح.. صحيح.. ولكني أعد لكـم مفاجـأة أو مصيبة لا أعلم.. لن تدخل الملكة الآن ولا بعد قليـل، ولـن يـدخل الملــك ولا غيــره مــن الممثلــين الملاعــين.. ولا مسرحية ستشاهدون.. ولا مـؤامرة خائبـة سـترون.. لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.. أتشرف بأن أعلنكم بـأن الملكة الأم والملك والملكة وجميع العاملين في هذا العـرض الملعون محبوسون في غرف تغيير الملابـس.. وهـا هـو المفتاح!! (يخرج حلقة حديدية كبيرة معلقة فيها عدة مفاتيح) إياكم أن تسخروا مني.. أنا الآن سيد الموقف.. كل المفـاتيح معي.. لا أحد معكم أنا وحدي.. أنا وحدي هنا.. بينكم.. حتى أنتم.. أنتم شخصيا محتجزون في هذه القاعة الملعونة وهـا هو مفتاح باب القاعة (يخرج المفتاح)... أنا.. أنا لا أريد أن أرتكب أية حماقات.. أنا فقط أردت أن.. أن.. ألا أكون ذلك الراوي الملعون.. نعم.. نعم.. مثلت هذا الدور خمسة أعوام

متتالية.. في كل عام كنت أقول.. سينتهي العرض الملعون.. سآخذ دورا آخر في العرض التالي.. دورا أفضل.. أهـم.. لا تلك الأهمية الدرامية الملعونة.. أهم أهمية فعليـة.. دورا بحق.. أنت يا سيدي (لأحد الجمهور) ألم تشاهد هذا العرض من قبل؟ هه؟ لقد رأيتك أكثر من مرة تأتي إلى الصف الأول وتتابع العرض.. وفي كل مرة كنت تبكي مع سقوط الملك.. أنت طيب القلب يا سيدي.. ولكنك يا سيدي ساذج!.. عفـوا عفوا سيدي ولكني سأفاجئك الآن بمسألة خطيرة.. هذا الممثل الكبير.. الملعون.. كان بعد سقوطه على الأرض وبعـد أن يستمع إلى التصفيق الحاد الهادر من كفوفكم، يلتفـت إلـى الداخل ويبتسم! أنت تبكي يا سيدي وهو يبتسـم.. وأحيانـا يضحك.. يضحك منك.. منكم جميعـا.. المسـألة يصـعب شرحها.. أنا لست مجرما.. صدقوني.. أنا أحـبكم.. أحـبكم جميعا.. أحبكم كثيرا.. ولا أقصد باحتجـازكم أي إهانـة.. لا... فلنفترض أنكم دخلتم مسرحا أو سينماً ينص فيها علـى عدم الانصراف من دار العرض قبـل انتهـاء العـرض.. لأسباب أمنية.. حقيبة متفجرات.. مثلا.. يضـعها شـخص ويجري.. مثلا مثلا.. افترضوا معي هذا الافتـراض.. أنـا

سأريكم أشياء بهيجة.. أنـا أسـتطيع التمثيـل.. والغنـاء.. والرقص، لست رشيقا بالدرجة الكافية.. هذا صحيح.. لكنـي أجيد التعبير بجسدي.. كنت أود أن أخرج من دوري يوما.. لكي أقدم لكم كل ما أستطيع تقديمه.. كل ما أستطيع تقديمـه ملك لجمهوري الحبيب.. (يهدأ انفعاله قليلا) كنت فيما مضى ممثلا هاويا في المدرسة ثم في الجامعة.. كنا نقدم العروض الضخمة رغم إمكانياتنا الهزيلة.. أذكر مرة أني لعبـت دور "كاليجولا" ولعبت مرة أخرى دور "أوديب" وكنت مخرج ذلك العرض.. (يتذكر) الملابس الإغريقية.. الـرواة.. المشـاهد المتوهجة.. يااااه.. كنا في ذلك الزمن لا نفكر في الغد.. وفي الكواليس... كنا نتلقى التهاني من إخواننا الذين كانوا يقبعون في الصفوف الأولى يشاهدون العرض يوميا لمدة أسـبوع.. أسبوع.. أقص ما كنا نحلم بـه.. وكـان هـؤلاء الإخـوان يقابلوننا في الكواليس.. يشدون علـى أيادينـا.. برافـو!.. برافو.. كنت رائعا.. أنت أمسكت بالشخصية.. أنت ممثـل ذكي.. كنت في ذلك الزمن نحيفا.. أكثر نحافة.. أنا لا أعلـم كيف قادتني الأيام إلى هذا الوضع.. أنا ذهبت إليه.. قلت له: اسمع يا صديقي.. التمثيل رسالة.. أنا لا أقبل أن أمثل فـي

مسرحية لا هدف لها.. في ذلك الزمن.. كنـت أعـرف أن التمثيل رسالة.. ولكني لم أكن أعرف ما في هـذه الرسـالة على وجه التحديد.. كنت أعرف رفضي القاطع للتمثيل فـي مسرحية لا هدف لها.. ولكني فيما بعد اكتشفت أني لم أكـن أعرف ما هو ذلك الهدف.. مر كل شيء سـريعا.. اللعنـة عليها.. ما كان يجب أن ننتحـاب.. لولاهـا لبقيـت علـى إصراري القديم تجاه رسالتي الغامضة.. لا.. أنـا أظلمهـا كثيرا.. كثيرا ما تكون غير مخطئة وأتجنى عليها.. ما ذنبها هي؟ المسألة تكمن في تلك النقطة: لن أعمل موظفا في بنك.. لن أعمل موظفا في أي مكان.. أريد أن أمثل.. كنت أظن أن هناك أبوابا ستفتح.. وشبابيك تطل منها رؤوس المعجبين وأنا أمر في الشوارع بعد أداء دور عظيم.. كنت أظن أني سأدق بموهبتي الأبواب المغلقة.. أنا موهـوب.. ولا أصـدقهم إن قالوا لي إنني لا أصلح بطلا تراجيديا.. أنا أصـلح! أصـلح طبعا.. مثلت عشرات الأدوار من قبل.. وما زلت أستطيع أن أمثل أدوارا عظيمة.. قلت لها في تلك الليلة اللعينـة.. كـان رأسها ملقى على كتفي.. اللعنة.. النساء يلقـين برؤوسـهن على أكتافنا كي يفهمن ما يدور بداخلنا، وحين لا يعجبهن ما

قلناه في الداخل ينزعن رؤوسهن مخلفات لنا الوحدة والحاجة لهن.. قلت لها: ربما سنواجه المتاعب.. بعض المتاعـب.. بعض المتاعب في البداية.. لن أقبـل إلا أن أكـون ممـثلا كبيرا.. نزعت رأسها عن كتفي.. نظرت في عيني وأطبقت بجفنيها على نظراتها المطمئنة.. ثم قبلتني في جبهتي.. كانت قوية الاحتمال.. أعني في البداية.. تجلدت.. وكانـت علـى استعداد لأن تصبر.. هكذا بدت.. حتى مجيء تلـك الطفلـة اللعينة.. يتغيرن كثيرا بعد الولادة.. يصرن أكثـر شراسـة (يتدارك) أ... أرجو ألا يكون أحد من الجمهور انطباعا بشعا عني.. أنا لست قاسي القلبي.. ابنتي هي كـل شـيء فـي حياتي.. لا.. هذه مقولة مبتذلة.. ليسـت دقيقـة التعبيـر... أعني.. ابنتي هي.. هي ابنتي.. أنا لا ألعنها هي.. أنا ألعـن أمها.. أقصد ألعن ميعاد مولدها.. الـ.. التوقيت.. الـ ـ... الظروف.. كان يجب أن تتناول الحبـوب فـي مواعيـدها المفروضة!!.. قلت لها ذلك.. كانت تبدو متفهمة، وهي التي اقترحت ألا ننجب قبل أن أثبتـت فـي المؤسسـة الوطنيـة للمسرح.. صحيح أني سأصير بعد ذلـك موظفـا.. ولكـن لا مانع على الإطلاق.. موظـف فـي المؤسسـة الوطنيـة

للمسرح هذا كثير.. عظيم.. هكذا كنت أظن.. (يصرخ) أيها الملاعين!.. ماذا تفعل جنيهاتكم البلهـاء لأب وأم وطفلـة؟! ولكن هي أيضا خدعتني.. لو لم تكن قد أنجبـت فـي ذلـك الوقت لصارت الجنيهات موزعة على اثنين بدلا من ثلاثـة أشخاص.. دعونا الآن من هذا الحديث.. هذه أمور شخصية لا تهم الجمهور الكريم.. أنا فقط واضح أني لست مجرمـا.. وكوني قد احتجزت بعض الناس لبعض الوقت لا يعني أنني مجرم.. دعونا نقول إنه.. لفت نظر.. أنا أحتجـزكم لألفـت أنظاركم إلي.. مثلا.. أنت تسير وتوشك أن تنزلـق قـدمك بالقرب من بالوعة مهملة مفتوحة، فيأتي طفل ويقول لـك.. انتبه يا سيدي.. وها أنا ذا أقول لكم وكـأني هـذا الطفـل، وكأنكم هذا الرجل السائر غير منتبه، وكأن مـوهبتي هـي الـبالو.. لا.. ليس المثال دقيقا! فلننتق مثالا آخر.. أو.. لا.. لا داعي لذلك.. لا شك أنكم فهمتم.. فذكاؤكم لا شك فيه.. إذا كنتم تفهمون من متابعة عرض واحد مغزى تلك المسـرحية اللعينة التي أقوم بتمثيلها لي الآن خمسة أعوام ولا زلت لـم أفهمها! لست غبيا.. ولكنها هي التي لا معنى لها.. هزيلـة.. وللعلم.. لو تركوني على حريتي لارتجلت ما هو أروع مما

كُتب.. ذلك الكاتب الملعون.. منصـور طنطـاوي كاتـب مسرحي وناقد وشاعر ورئيس مجلس إدارة!!! مـا هـذا؟! حقيقة هو كاتب نشيط.. وهذا يحسب لـه.. ولا أنكـر أنـه مشهور.. وناجح.. ولديه ثلاث سيارات واحدة له.. وواحـدة لزوجته، وثالثة لابنته.. له ابنة في العشرين.. ما أجملهـا.. وردة.. نسمة لطيفة.. يا لسعادته بها.. يعطيها كل شـيء.. طبعا.. يا لسعادته وهو يعطيها كل شيء.. النـاجحون فقـط يعطون فيسعدون بالعطاء.. كما.. كما أنه اشترى في العـام الماضي سيارة رابعة لصديقته الحسناء.. مـا أجملهـا تلـك الملعونة، في التاسعة عشر ولكنها امرأة بحق.. أنا لا أنكـر أنه ناجح على كل المسـتويات.. الجماهيريـة والعائليـة.. والخلفية.. كماأنني لا أنكر أن هناك بعض الأشياء فيه، بعض المشاهد المشرقة في تلك المسرحية اللعينة.. ولكن.. حـواره بارد.. يبدو كجزار.. اسـتخدام الألفـاظ عنـده كاسـتخدام الأحجار سواء.. وإليكم مشهدا من المسرحية.. مشهدا قصيرا للغاية.

(طرق يأتي من جهة الكواليس)

ما هذا؟! آه.. يبدو أن أحد الإخوة الأعداء قد استيقظ مـن غفوته، ويطمع في الخروج مـن غرفتـه.. أ.. هـل قلـت غفوته؟! حسنا.. لدي اعتراف أيها الجمهور العظـيم؛ حتـى لا يطول التخمين والتكهن حول تلـك الكلمـة.. اسـتخدمت مخدرا متواضعا في الـ.. (طرق أكثر حدة) عذرا.. سيفسد هذا الغبي علينا حفلنا الخاص (طـرق، يصـرخ) انتظـر.. معذرة.. سأغلق باب الكالوس.

(يذهب.. يرجع فجأة)... أي محاولة للخروج.. سـتقابل بالـ.. أعني.. لا يمكن الخروج أساسا.. لا داعـي للطـرق على الأبواب والاستغاثة وخلافـه، فمسـئول الأمـن لـيس بالخارج.. إنه يشرب الشاي حاليا فـي ضـاحية بعيـدة!!! (يبتسم... يدخل للحظة ويعود بعد إغلاق باب داخلـي فـي الكالوس).

ماذا كنا نقول؟ آه... أريد الآن أن أدخل في الموضـوع الرئيسي لم أحتجزكم لتشاهدوني أثرثر.. سأقدم لكم موهبتي.. صحيح أني سأقدمها في ظروف غير ملائمة.. ولكـن.. آه.. تذكرت ما كنا نتحدث فيه.. الكاتب.. المؤلـف.. منصـور طنطاوي يقول في أحد المشاهد المفترض فيها الدفء، وهـو

مشهد يدور بين الملك وزوجته.. الملك وهو جالس يفكر في المؤامرة التي يحيكها له أقرب المقربين إليه -وراقبوا تلـك الفكرة المستهلكة- تدخل عليه زوجته فتجده حـائرا.. هـو جالس هنا.. وهي تدخل من هناك.. تقول له بعد أن تتأملـه قليلا (يمثل): أيها الملك العظيم.. من ذا الذي جرؤ علـى أن يلقي على كاهلك الملكي بأحماله؟ وماذا تراه ذلـك الخطـب الذي دفع بحاجبيك الملكيين إلى التقطيب؟ ألا أجبني يا عاقـد الحاجبين! (ينتقل لتمثيل دور الملك) الملك: دعيني وشأني.. فأنا "طهقان"!! سمعتم؟ طهقان: أولا ليس هناك طهقـان فـي اللغة الرصينة.. ثم لنفترض أنها جائزة، فهل يجوز قول ذلك في مشهد كهذا؟ كان الأولى أن تدخل عليه فتقول له ببساطة ودفء (يؤدى): مليكي.. ما بك؟ أتأملك منذ برهـة، وأنـت تفْرك أناملك الحائرة وتشرد.. أنبئني بربك، ما السر الذي في السماء الليلة حتى يجذبك إليها كل هذا الانجذاب؟ إنه لـيس القمر.. ولا النجم.. ولا لون السماء.. إنه شـيء داخلـك.. (ينتقل مؤديا دور الملك).. لا شيء يا حبيبتـي لا شـيء... لا تشغلي بالك.. إنني تعب.. تعقب قليلا.. تعب للغاية (يعانق الهواء).. هكذا مثلا.. صحيح ان الملك والملكة في روايتـه

ليسا متحابين.. ولكن هذه ليست قضيتي! فليبحث عن مترادفات أخرى.. عن شيء آخر.. أي شيء.. أي شيء.. (فجأة) لا تتحرك يا سيدي.. أعني.. أرجوك.. أرجوك ألا تتحرك.. تعلم.. تعلمون جميعا أني قد ارتكبت جريمة باحتجازكم.. أنا لم أفعل ذلك لألهو بعض الوقت.. أناشدكم الالتزام بمقاعدكم.. أنا لم آتِ هنا كي أهرج، إنما أردت أن أظهر لكم كائنا كاد يموت مخنوقا داخلي.. إنه موهبتي.. موهبتي اللعينة.. هي التي قذفت بي إلى هذا الوضع.. أنا لا أدري لماذا لم أتوظف في البنك فتنتهي القضية.. تبا للفن.. كائن ملعون.. إنه دودة تعبث فيك باستمرار.. تدور وتدور وتعود تمثل.. كنت أقول إني كنت أنتظر بفارغ الصبر أن ألتحق بالمؤسسة الوطنية للمسرح.. لا.. هذا موضوع لا أهمية له.. (لنفسه) بالنسبة لكم على الأقل.. آه.. المسرحية التي ظللت ألعب دور الراوي فيها عدة سنوات أيها السادة لمسرحية سخيفة.. إنما الحاجة.. دائما تدفعك.. تفهمون طبعا.. أن تفعل شيئا لا تحبه.. هكذا.. لأنك تحتاج.. لأنك في حاجة.. كنت في البداية مصرا على المؤسسة الوطنية للمسرح.. برغم جنيهاتها اللعينة.. كنت قد بدأت أكون لي

مكانة ضئيلة.. كان ستكبر.. هكذا قلت في البدايـة.. هكـذا ظننت.. والذي حدث بعد ذلك.. أني لم أكبـر.. ولا أدواري كبرت.. ولا الجمهور الضئيل الذي كان يتابع عروضنا صار يكبر.. كل شيء صغير.. صغير.. المرتب اللعين صـغير.. حفنة من النمل أتسلمها كل شهر وأخرج بها للريح.. أترى يا سيدي حين تعود إلى البيت فترى امرأتك تتأملـك وتسـألك بعينيها عما أحضرته معك؟ إنه شعور قاسٍ ذلك الذي يهـبط في أمعائك ساعتها.. كأنك لست رجلا.. أترون حين تكـون لأحدكم ابنة وتمرض؟ أدس يدي في جيوبي فأخرج الهواء.. إحساس غريب.. كأن أحدا قد انتزع رجولتي وطار... كـأن أحدا قد صفع آدميتي.. كياني كله فراغ، وأنا عاجز وطفلتي على فراش الـ.. مرض.. ولهذا السبب فقط قبلت بالعمل مع فرقة خاصة.. (يبتسم بمرارة بالغة) هه.. المسرح التجاري.. كل الفاشلين يحاربون المسرح الـ ـتجاري! كـل الأبـواب موصدة.. طرقت بابهم.. قبلت أن أقف أمام نجم الكوميـديا الكبير اللعين "أحمد قمر" ساعة يوميا أمثل دور سفرجي من الجنوب يلقي عليه النجم الساطع كومة من النكـات ليليـا.. قبلت هذا نظير زجاجة دواء إذا مرضت ابنتي.. كيلو لحـم

وأنا عائد في الفجر.. ثوب لزوجتي.. اشتريت بقائي حيـا.. كان يمكن أن أموت.. لكني كنت أموت يوميا.. كنت أشـعر بهم يشترون شيئا آخر مني.. حـين وضـعت يـدي عليـه غادرتهم بلا رجعة.. زوجتي هي الأخرى فهمـت اللعبـة.. لعبة المغادرة.. إنها اللحظة التي تشعر فيها أنك لا بد إما أن ترحل أو تموت.. فاختارت ألا تمـوت.. وأخَـذَتْها معهـا.. أخذتْها وتركت لي الجدران والشبابيك المفتوحة كأفواه البلهاء مثلي من فرط الدهشة.. والوحدة.. واللاشيء.. لاشيء.. من يومها، حسِمت المسألة في ذهني.. سأعود إلـى المؤسسـة الوطنية للمسرح.. إلى جنيهاتها اللعينة.. فأنـا قـد صـرت وحدي.. وعلي أن أصنع نفسي، قلت إن الطريق أطول مـن أن تقطع في عام أو اثنين، لكن المسـألة طالـت.. خمـس سنوات وأنا لا أفعل شيئا إلا أن أصير راويـا.. حضـوري مؤقت.. ظهوري هامش.. ممثل بـين قوسـين.. متـى إذن أصير نجما؟ متى أصير بطلا تراجيديا كبيرا؟

(طرق مرة أخرى) اخرسوا: !! (يصرخ في الكالوس)

أنتم محبوسون.. لا خروج من الغرف.. لا تحاولوا إيقاظ الآخرين.. المخدر قوي، ولكن بعض الرؤوس مصفحة!

(يغلق الباب.. يعود) عفوا أيها الجمهور العظيم.. سأبدأ.. أقدم لكم نفسي الآن في أحد الأدوار التي كتبهـا لـي أحـد الأصدقاء الأمس.. هذا الصديق له قصة عظيمـة.. وهـي محزنة أيضا للغاية.. كنا أيام الجامعة صـديقين حميمـين.. وكان يجمعنا مسرح الجامعة.. رأيته يوم لقائنا الأول منشغلا بكتابة شيء.. كان شـاعرا مسـرحيا متفـردا.. أعجبتنـي كتاباته.. وأعجبته موهبتي التمثيلية.. صار يكتب لـي وأنـا أخرج وأمثل له.. أذكر يوم أن حصلنا سويا علـى جـائزة الجامعة مناصفة..(يتذكر) يااه! حـين تخرجنـا.. شـاء أن يحترف الكتابة كما شئت أن أحترف التمثيـل.. قابـل كـل الناشرين المعروفين منهم والمغمورين.. الكل كان يعد بالنشر ولا أحد نفذ وعده.. طرقنا باب المؤسسة الوطنية للمسرح.. سويا.. كان قد ألف نصا عظيما.. عظيما.. لا لأنه صديقي.. عرضناه على مدير المؤسسة بعد شـهور مـن المحـاولات المستمرة - اليائسة أحيانا والمتفائلة أحيانا أخرى - لمقابلته.. وبعد أن أخذ النص.. ووعد بقراءته.. **ضيعه**!.. نعم.. هكذا ببساطة.. أضاع النص.. أصيب صاحبنا باكتئـاب نفسـي.. وذات ليلة.. رأيت صورته في جريدة.. للوهلة الأولى ظننت

أن موهبته قد اكتشفت.. الابتسامة غابت ببطء وأنا أقرأ مـا حدث في تلك الليلة.. الذين شاهدوه قالوا إنه تسـلق الهـرم الأكبر بعد الغروب بقليل بالرغم من لافتـة ممنـوع تسـلق الهرم.. وبالرغم من محاولة ذلك الجندي إثناءه عن مواصلة التسلق بالنداء عليه من أسفل، كان قد أوشـك علـى بلـوغ القمة.. لم يكن الظلام قد حل بعد... في تلك الهنيهـة التـي تسبق الليل.. وصل إلى القمة.. خلع كل ملابسه وعلقها على الصاري الحديدي المرشوق في آخر قمـة الهـرم.. بـدت الملابس السوداء كأنها علم أسود.. وبـدا هـو كأنـه كـان يصرخ.. يقول شيئا ثم... لم تكن موهبته هي التي اكتشفت.. ولكن جثته، وطلعت طبعة الصباح في جريدة الأهرام تحمل صورته لأول وآخر مرة لا في صفحة الفـن، ولكـن فـي صفحة الحوادث. (لحظة صمت تام)

أقدم لكم جزءا من إحدى مسرحياته التي كتبهـا قبـل أن يموت مباشرة.. المسرحية بعنوان "اقتباس" المشهد في إحدى مستشفيات الأمراض العصـبية.. شـخص علـى أعتـاب الجنون.. الأطباء.. هنا.. يقنعونه بإجراء عملية جراحية في

رأسه، وهو.. هنا.. يصر على عدم إجرائها.. (يركـز ثـم يؤدي)

الليل.. معادلة صعبة.. أنتم تطلبون منـي أن أضـحي.. أعطيكم رأسي فتعطوني رأسا جديدا.. وأنا غير مقتنع.. لـن أعرفني بعد ذلك.. لن أتمكن من التعرف على رأسي الجديد وأنا أنظر في المرآة إذا قمت لأشرب في الليـل.. الليـل.. معادلة صعبة.. أعددت النص المسرحي الذي سـأنال عنـه جائزة "نوبل".. ولكن "نوبل" لم يعطِني الجائزة.. أين نوبل؟.. لئيم ذلك الرجل.. أتيته في الفجر فقالوا لـي: يـأتي لـيلا.. الليل.. معادلة صعبة.. إليكم عني.. فأنا رأسي غير موافـق على إجراء العملية.. انتظروا.. يبدو أن أحدا مـا.. يبـدو.. يبدو أن هناك صوتا في رأسي يوافق علـى.. آه.. صـوت أمي.. يا لها من امرأة.. تزورني في رأسي كي تغطيني في الليل.. الليل.. معادلة صعبة..

(طرق على الباب من جديد، يصرخ بجنون)

اللعنة!! اللعنة!! فلتذهبوا إلى الجحيم.. لن أفـتح لكـم.. تصرفوا.. هيا.. تصرفوا.. اللعنة.. هؤلاء الملاعين قطعـوا حبل أفكاري.. قطعوا حبل اندماجي.. كنت منـدمجا

للغاية.. أ.. ألم تلاحظوا ذلك؟ أ.. أ... ألم أعجـبكم؟ بلـى.. أعجبتكم.. أرى ذلك في عيون جمهوري الكريم.. لا يمكـن أن تكذب أعينكم.. أ.. أنا أستطيع أيضا أن أمثل ألوانا أخرى من الأدوار.. الشرير.. قاسي القلـب.. وحفـار القبـور.. والرجل البخيل.. و... صحيح أن شـكلي لا يناسـب أدوار العاشقين.. ولكني أحمل أحاسيسهم وا .. المشكلة أنـي لـم أمثل قط دور الشاب العاشق.. شكلي دائما حاجز بيني وبين هذا الدور.. يبدو أن المشهد لم يعجـبكم بالدرجـة الكافيـة (لنفسه) أو هو لم يعجبكم على الإطلاق لا بـأس لا بـأس.. سنجرب سويا مرة أخرى.. أنتم بالطبع ستسمحون لي بـذلك لا لأنكم متحجزون.. أقصد.. محبو... أعنـي مسـتوقفون.. لا.. ليس لأسباب قهرية، بل لأنكم من المؤكد قد لمحتم فـي بذرة فنان.. من غير المعقول أن تكذب عيـونكم.. سـألعب دورا جديدا.. ولكني أحتاج إلى بعض المؤثرات (يفكر) مـا العمل؟!! عمال الإضاءة والموسـيقى لا يمكـنهم مغـادرة الغرف.. لا بأس.. سألبي بنفسي كل شيء (يذهب إلى كابينة الإضاءة) دأبت منذ فترة طويلة على متابعة عامل الإضـاءة هنا.. بالإضافة إلى معلوماتي عن إضاءة المسرح من خلال

ما أخرجته أيام الـ.. آآي.. اللعنة! سلك الكهربـاء عـارٍ!! هكذا.. لا.. أريد بقعة ضوء.. مجـرد بقعـة حمـراء فـي المنتصف.. نعم.. نعم هكذا.. (إظلام ما عدا بقعة حمراء في المنتصف).. الموسيقى الآن.. أحتاج إلى معزوفة ناعمـة.. لنر ما عندهم من شرائط.. الـ.. إم.. لا.. نعم لنستمع هـذه القطعة.. (يقف في دائرة الضوء.. موسيقى حالمة، يتعامـل مع كيان وهمي)..

الاعتراف صعب.. ولكنني سأنحاز أخيرا إلـى جـانبي الأيسر.. سأغمض عيني تماما عما أشاهده من تمنع وتكبر.. ها أنا ذا.... راكع أمامكِ.. لكنها ليست ركعـة العبـد فـي حضور كل سيد.. ولا هي ركعة المتصوف في المحراب..

ولا ركعة القديسين والأنبياء.. ولا التلميذات في كنـائس المدارس.. ولا الأبطال في مواجهة الملـوك فـي انتظـار تعميدهم فوارس.. ولا هي ركعة الشعراء أمام آلهة الجمال..

إنها ركعة خاصة بي.. وبكِ.. حالة خاصـة تلـك التـي انتابتني فأفقدتني توازني ورشدي.. واندفاع خاص هو ذلـك الذي أشعر به يجرفني إليك.. راكعا أمامـك.. ملقيـا بتـاج الخلافة في النهر.. مصطفيا إياك من بين ألوف الجـواري..

قالبا رأس العرش والتاريخ والخلافة.. راجعا إليك.. ساجدا إليك.. مؤمنًا بك.. أنت وحدك.. لا سواك.. كي يخرج هذا الصوت الذي في داخلي.. في داخل الداخل داخلي رجع ناي عازفًا بطريقة.. يا أيها الصدى.. يا أيها الوادي الذي ما في سواه أعترف.. بأنني.. عشقت مثل طفل.. تُيمتُ مثلما لم يتَيم الرجال.. غادرتني – إليك – فاسمحي.. أن أعترف، وأنصرف.. (ينتهي الشريط فيثور ثورة عارمة).. اللعنة!! اللعنة على الشريط والموسيقى والمسارح! (يعود إلى الكابينة) تكلم أيها الوغد.. (يضرب الأجهزة) انطق.. انطق.. لقد أخرجتني من اندماجي.. الكل ضدي.. حتى الجماد.. (يضيء جزءا من خشبة المسرح ويحاول أن يتمالك أعصابه) عفوا.. ما علينا.. اضطراب يحدث في أي عرض.. يجب أن يلاحظ الجمهور الكريم أنني وحدي تماما.. وأول درس تعلّمناه في المسرح هو: "المسرح لعبة جماعية".. ما علينا.. هل. هل أعجبكم ذلك المشهد؟.. إنه لصاحبي ذاته.. أرأيتم كم هو عظيم؟ ليرحمه ا .. ليرحمه ا .. صحيح أنه انتحر.. لكني لا أعتقد أنه.. ما علينا.. لا أحد يعلم ما يمكن أن يحدث بعد الموت.. ربما سيسامحه

ا .. هو أعلم بظروفه.. وليسامحني أنا أيضـا علـى كـل أخطائي.. (لحظة صمت)

لم تعد لهذه البقعة أهمية.. سأغير الإضـاءة.. بعـد إذن الجمهور الكريم (يضيء الخشبة لتعود كما كانت) الواقع أنـا لا أعرف ماذا أفعل.. أنا أريد أن أسعدكم.. حقيقة.. ولكـن المشكلة تمكن في أن الجميع ضدي.. حتـى هـذه العجـوز الشمطاء التي تمثل دور الملكة الأم.. أعرف أنهـا ممثلـتكم المسرحية المحبوبة.. ولكن اسمحوا لي أن أسـبها علانيـة وبكل ما أوتيت من اندفاع.. إنها امرأة بشعة.. حينما عينـت في المؤسسة الوطنية للمسرح منذ ستة أعوام كان مركزهـا كبيرا فيها.. لم تعطني الخطاب الذي يسهل لـي اسـتخراج الكارنيه لكي أصير ممثلا معترفًا به في الجمهورية.. أعنـي في مسارح الجمهورية.. والسبب أنني دخلت عليها مكتبهـا دون إذن السكرتيرة.. وا ليس ذنبي.. فالسـكرتيرة كانـت تضع المانيكير ساعتها!!.. طرقت الباب المفتوح لم تنظر لي السكرتيرة.. شعرت أنني معلق على الحـائط مثـل سـترة مهملة.. شعرت بانكمـاش وتضـاؤل أمـام عـدم انتبـاه السكرتيرة.. فقمت بفتح باب مكتبها الداخلي.. لم يعترضـني

أحد.. فوجئت بي.. قالت لي كلاما.. جارحا.. للغايـة.. و.. طردتني.. تلك العجوز المتصابية! ربما كنت حصلت علـى الكارنيه في ذلك العام.. ولكن لا.. ليست مسألة كارنيه.. لقد تأخرت عاما واحدا.. فهل معنى ذلك أن العام المقبل.. (يشرد فجأة) في العام المقبل ستبلغ ابنتي العاشرة.. حينما غـادرت المنزل مع أمها كان طولها هنا.. عنـد وسـطى تقريبـا.. ستصير أطول.. إنها ابنة جميلة بالمناسبة.. حفظها الـ ـله.. زوجتي هي الأخرى -أعني من كانت زوجتي زمنا- كانـت جميلة.. لم أرها منذ مدة طويلة.. ولكن ابنتنا أجمل.. أجمـل بكثير.. وجه ملاك.. زوجتـي سـمراء عيناهـا سـوداوان وشعرها فاحم.. حجمها لطيف للغاية.. تبـدو أصـغر مـن سنها.. أما ابنتي.. فالغريب في الأمر أنها بيضاء.. بيضـاء عني وعن زوجتي.. والأغرب أن عينيها خضراوان.. كانت هذه المسالة مثار شكوك دائمة بالنسبة لي.. ولكنـي بعـدما راجعت شجرة عائلتنا اكتشفت أن أسلافنا درجـوا علـى أن يخرج بين كل جيل وآخر جيل من خضر العيون.. (لنفسـه) أزعجني هذا في البداية.. كانوا يموتون في سن صـغيرة.. اعترفت لها.. لزوجتي.. اعترفت لها بأنني شـككت فيهـا..

كانت أعصابي متعبة للغاية.. لكنها كانت عظيمة.. تحققـت من انهيار أعصابي فسامحتني على الفور.. أ.. هـل.. هـل قلت انهيار أعصا.. حسنا.. سأوضح.. لـم أكـن مريضـا بالأعصاب.. لا..لا شيء.. لا شيء من هذا القبيل.. مجـرد اضطراب.. أعني.. مجرد إرهاق.. نعـم هـو الإرهـاق.. التام.. كان قد انتحر في تلك الفترة.. انتحر لسبب تافه فـي النهاية.. ا أعلم بأسبابه الحقيقية.. لكنه تركني بلا أصدقاء.. تركني وحيدا.. كان يجب أن انهار.. اللعنة.. إن هذه الكلمة توحي بأكثر مما حدث.. "انهيار". أنا لم أحس بانهيار.. أنـا سليم.. سليم وا .. ومجرد القيام بعمليتي هذه لا يعني أننـي غير طبيعي.. ولكن ما هو البديل؟ كيف السبيل إلى أن أكون ممثلا ذا مكان ومكانة؟.. أردت أن أعرض عليكم فني.. أنـا أعرف أنكم ترفضون هذه الطريقة في تقديم الإنسان لنفسه.. لكنني لا أملك وسيلة أخرى للتعبير عن نفسي.. صـدقوني.. جربت شتى الطرق.. الانتظار.. الصبر.. التهريج.. الترفع.. الترخص.... كل شيء.. نفس الدور لا يكبر ولا يصـغر.. مع أني أفضل من البطل نفسه.. هه! لقد لعبت أدوارا أعقـد مما لعب.. الحظ يخدمـه.. والمؤسسـة الوطنيـة المسـرح

تخدمه.. والحكومة تخدمه!! الكل يجن به.. وأنا لا يعرفنـي أحد لا لسبب إلا لأن أحدا لم يخض تجربة التعرف علـي.. وها أنا ذا أقدم لكم نفسي.. حسن علي حسـن.. هـذا هـو اسمي.. حاصل على ليسانس الآداب قسم مكتبات بتقدير عام مقبول.. والسبب هو أنني لم أكن أمارس إلا النشـاط الفنـي طوال فترة تواجدي بالكلية.. (يتذكر) يا لها من أيـام.. فـي التاسعة تماما كل الطلبـة يـذهبون إلـى المـدرجات.. إلا مجموعتنا، تتجه إلى المسرح.. مفتاح المسرح في جيبـي.. أفتحه في الصباح.. أنظفه بيدي.. أفتح النوافـذ.. يـا لتلـك النافذة المكسورة!.. إنها تلسع الأولاد في الشـتاء (يبتسـم) الأولاد!! أنتظر الأصدقاء حتى يأتوا.. أعبث في آلة البيـانو (يضحك).. أعوام الجامعة مرت ولم أتعلم عزف لحن واحـد حتى السلام الوطني.. يا إلهي ما أسهله!! (يغنـي): بـلادي بلادي... لكِ حبي وفؤادي.. كنت محترما بين أصـدقائي.. كمخرج وكممثل.. (يرفع صوته) بروفا.. (يهمـس) الكـل يصمت.. العدد القليـل مـن الطلبـة الـذين يـأتون بـين المحاضرات ليشاهدونا يسكتون وينصتون.. (يرفع صـوته) بروفا.. المشهد الأول.. جوكستا في الكواليس.. لا أريـد أن

أرى على الخشبة إلا الكورس وقائدهم.. لنبدأ.. (يلتفت فـي عصبية) الصوت في الخلف يهدأ.. إذا سمعت حرفًا واحـدا سأخلي القاعة.. هه.. بحماس.. وحدوا أصواتكم.. صـديقي قائد الكورس أريدك أن ترفع صوتك.. تخيل معي مـا قالـه ستانسلافسكي: تخيلوا أن بالعرض سيدةً عجوزا ثقيلة السمع تجلس في آخر صف.. أليس مـن حقهـا أن تصـل إليهـا كلماتك؟! حسنا.. لنبدأ.. بروفا (لحظة صمت).. يا إلهـي.. كيف ابتعدت تلك السنوات هكذا؟!! صارت بعيدة، كأنها لـم تمر بي أبدا.. أين هؤلاء الأصدقاء؟ معلمـون ومعلمـات.. موظفون وموظفات.. لم يصر أحد منهم ممثلا أو مخرجـا.. أنا نفسي فشلت.. بلى.. هناك واحدة نجحت.. كانت الأسـوأ لكنها كانت جميلة.. ومثيرة أيضا.. أراهـا صـارت نجمـة إعلانات.. (يقلد في دلع) بطعم المانجو.. بطعم التفاح بطعـم الفراولة.. جربه.. صدقني لن تندم!! (يقطب الجبين)

بطعم المانجو والتفاح والفراولـة.. معضـلة!.. دجـل.. ضحك على الذقون.. أنا تعب.. تعب للغاية.. شاهدتها أيضا في العام الماضي في سـهرة تليفزيونيـة تـرقص وتغنـي وتمثـل.. صـوتها رديء.. ولكنهـا تـرقص كالـ ـ...

كالكاوتشوك.. أنا تعب حقيقة.. أحس بالهبوط.. لكنني قـادر على مواصلة الـ.. التمثيل.. مثات من قبل (يتمالك نفسه).. خمسة فصول متتالية في مسرحية فرنسية.. (يصـرخ) ألـم يشاهدني أحدكم قط!! ألم يتوجه أيكم في شبابه إلى مسـرح الجامعة؟ كنت بطله الأول.. الأول بلا منـازع.. ومخرجـه البارز.. أقسم بشرفي.. بابنتي.. بهـذه اللحظـات الرهيبـة بخشبة المسرح.. بكل شيء.. يبدو أن كل ما قمت به كـان عبثًا.. لا جدوى.. لا فائدة.. ولهذا أنا أصر على تقديم نفسي إليكم (طرق وصراخ من الداخل) لحظة واحدة.. سأقنعهم بأن يخرسوا.. (يخرج ويجيء صوته مـن الكـالوس) اسـمعوا جميعا.. أنتم محبوسون في الغرف حتى آذن لكم بالخروج.. أنا حسن علي حسن الذي يمثل دور الراوي.. هل تـذكرني يا أستاذ مسعود؟.. حسن علي حسن أيتها السيدة العظيمـة.. الشمطاء المتصابية.. أنتم محبوسون وهذا هو آخـر إنـذار لكم.. إذا سمعت أصواتكم مرة أخرى فلن أفتح لكم الليلة.. لا جدوى من الصياح.. فالباب الكبير مغلق.. (يسكت الصـوت والطرق، يعود) عالم من الجبناء!!. كومة قذرة من الطحالب المتسلقة على وجه الفـن.. لـيس هـذا فنـا ذلـك الـذي

يقدمونه.. مسعود أمين ممثل جيد.. ولكنه يسيء غالبا اختيار أدواره.. آه لو مثل مسرحية من إخراجي!! طبعا سيضـحك إن قلت له ذلك.. سيقول لي: "من أنت"؟ سأقول له: أنا حسن علي حسن.. فيضحك.. وينصرف.. أنتم أيضا قد تضحكون مني بعد أن تنصرفوا.. وربما تكونون قد تبادلتم النكات علي حين كنت أعطيكم ظهري.. أنا أعرف أن الكـل ضـدي.. أعرف أن الظروف غير مواتية.. أعرف أنـي أسـبح فـي مواجهة التيار لكن ماذا أفعل؟ كان لي موعد مـع النجـاح، ولكن النجاح لم يأتِ في الموعد، أنا فعلت ما في وسـعي.. لكنكم لم تفعلوا شيئا لي (يعلو صوته) أنـتم لا تهتمـون إلا بأنفسكم.. جمهور أناني.. لو قتلت دفاعا عنـه فلـن يأبـه.. نعم.. نعم أنا أدافع عنكم.. أريد أن أعطيكم الشـيء الثمـين وأمنع عنكم الشيء الهزيل.. هل تسمعون؟ أنتم أنانيون.. إنما أفعل ما أفعل لشعوري بالواجب (يتدارك أقواله).. عفـوا.. عفوا.. أرجو أن تلتمسوا لي العذر.. أنـا منفعـل للغايـة.. ويائس للغاية.. وتعب جدا.. جدا.. كان من ضـمن مخطـط الليلة أن أمثل وأغني وأرقص وأقول المونولوج.. كل شـيء من أجلكم.. ولكني الآن نسيت كـل الأدوار التـي حفظتهـا

والأغاني.. وجسدي معطل لا يسـتطيع الـرقص.. ولسـت خفيف الظل الليلة حتى أقول المونولوج.. ما عدت أريد منكم الآن شيئا.. (يمد يده في الكالوس فيأتي بصندوق.. يفتحه)..

سأوزع الآن عليكم ورقًا صغيرا (يوزع على الحضـور) كل واحد ورقة من هذا الورق.. لتقولوا رأيكم في.. اكتبوه.. على الطريقة الديمقراطية ١٠٠%... وزع هذه يـا سـيدي عندك.. وأنت يا أخ لو تكرمت وا .. شكرا.. ليكتب كل ما يراه.. بما يمليه عليه ضميره وحده.. لا تتشاوروا ولا تنقلوا ما يكتبه زملاؤكم المجاورون!!.. اكتبوا آراءكم بصـراحة.. حسن علي حسن يتقبل النقد.. بعد ذلك ستنصرفون.. (لحظة صمت.. فجأة) ولكنني أرى أنكم لم تشكلوا رأيا في بعد.. لقد ثرثرت أكثر مما ينبغي، فلأقدم لكم فني الآن.. إذن.. هـه.. من يقترح أغنية ما؟ أو فلنقل رقصة.. أقول لكم.. سأرتجل.. سأرتجل لكم مشاهد.. وا ِ محـض ارتجـال.. وتتضـمن المشاهد رقصات وأغـاني ومونولوجـات وكـل شـيء.. (يتحمس).. أنا الآن أفضل حالا.. مستعد لأن أقدم فنا.. وفنًا جيدا أيضا.. لننس ما قيل منذ لحظـة.. اسـترخوا.. أيهـا السادة.. أيتها السيدات.. أقدم لكم نفسي في مشاهد مرتجلة..

المشهد الأول كاتب هاو يذهب إلى مكتب كاتـب كبيـر (يؤدى).. سيدي.. أحضرت لك المسرحية التي حدثتك عنها هاتفيا.. (يؤدي الدور الآخر) أم.. عظيم.. هات..

- هذه المسرحية يا سيدي.. مسرحية من فصول ثلاثة.. اعذرني.. سأُتعبكِ قليلا، أعني سأزعجك بقراءتهـا.. ولكن.. إني.. سترى.. لعلها.. شخصياتها الخمسون..
- خمسون؟! هه! شيء لطيف وا أن يكتب شاب مثلك مسرحية شخوصها خمسون، بينما لم يمكتب مثلي في حياته مسرحية تعدى أبطالُها العشرين بأية حـال!!! على كل.. هات.
- كنت أود أن أقدم لكم نسـخة مطبوعـة.. ولكـن.. الظروف.. أعني.. أعتذر لأنها بخط اليد.. إنها فـي الحقيقة النسخة الوحيدة.. لم أستطِع تصـويرها لأن.. لأن..
- شكرا.. هات المسرحية..
- ألتمس أن تقرأها يا سيدي بقدر من الـ ـ.. عـذرا.. أعني... لا تنسها أرجوك يا سيدي.. صدقني بـذلت فيها أقصى ما لدي من مجـ.....

- سأقرأ.. سأقرأ.. هات المسرحية.. لا تقلق.
- تفضل يا سيدي.. تفضل.. متى أمر بك؟
- مر علي بعد شهرٍ أو نحوه.. فأنا مشغول قليلا هـذه الأيام.. (يضغط زرا وهميا).. عبد القـادر.. تعـال لترى ماذا سيشرب الأستاذ.
- شكرا سيدي.. سأمر بعـد شـهر.. طـاب يومـك يا سيدي.. إلى اللقاء.. طاب يومك.

المشهد الثاني الكاتب الشاب وحبيبته.. (يـؤدى) حبيبتـي أنت.. المسرحية التي كتبتها في ظل عناقنا سـترى النـور صدقيني.. قابلت كاتبا كبيرا.. تعرفين من؟ سمير حلمـي.. وعدني بقراءتها.. ستعجبه.. وسيساعدني علـى نشـرها.. سأصير كاتبا محترفًا.. سأصير كاتبا كبيرا.. أحبك.. أحبـك كثيرا.. وأحبك أكثر حين أشعر أن هناك غدا سيجمعنا فـي أحضان بعضنا.. بعض السعادة ليس بالشيء الكثير.. لـيس بالشيء الذي لا يمكن أن نطاله.. ربما نحن الذين لا نعـرف كيف نسعد بالأشياء.. لأول مرة أشعر أن السـعادة آتيـة لا محالة، وما علينا إلا أن نفتح أيدينا لنعانق ما سيأتينا به الغـد المسالم.. الوديع.. الغد النبيل.. سأشتري لك ولـي خـاتمين

ونعلن الخطبة.. ستصيرين حبيبتي الشرعية.. سنأمن بـذلك شر أخيك.. وسخافة أمك... اللعنة! لا أقصد الإهانـة.. أنـا فقط أعني أن أحدا لن يضيق على قلبك الخناق.. أريدك لي.. بريئة من ذنب لم نقترفه وبعيدة عن خطـر يوسـوس فـي رأسي.. لا أريدك ضحية لسوء الفهم والتعنت.. أريدك لـي يوما ما.. حبيبة شرعية.. ستعجبه.. ستعجبه.. مثلما أعجبتك يا حبيبتي.. (يغني مقطعا غنائيا خفيفا).

المشهد الثالث الكاتب الصغير على بـاب المكتـب، مـع سكرتير الكاتب الكبير (يؤدى) أرجوك أن تفهم يا سيدي.. لي موعد مع الأستاذ.. لم لا تفهم؟

- كلامي واضح يا سيد.. الأستاذ مشغول..
- أتيت منذ شهر وأسبوع لمقابلة الأستاذ وكان ميعادنـا التالي بعد المقابلة الأولى بشهر.
- آه!!! أنت ظريف وا .. الأستاذ إذن يعطيك طريقًـا وأنت لا تفهم!
- يعطيني طريقًا؟ ما معنى هذا! ماذا تقصد؟
- يقول لك بلباقة.. وداعا!
- أنت لا تفهم شيئًا.. مسرحيتي مع الأستاذ..

- أنت إذن المعني بهذه الرسالة، خذ.. تركها لي الأستاذ كي أعطيك إياها.. ولكن دخول.. ممنوووع!

(يقرأ الرسالة الوهمية)..

تلميذي النجيب.. أعتذر بشدة لكـون المسـرحية التـي أعطيتني إياها قد فقدت مني.. خالص تحياتي.. المشهد التالي (يخرج مسدسا من ملابسه.. يصوبه إلى قلبه يثبت على هذا الوضع قليلا ثم يفيق)..

سنجرب مشهدا آخر.. أرجو أن يقاوم جمهوري الكـريم أي شعور بالملل قد ينتابه.. تخيلـوا معـي أن الإمكانيـات متاحة.. لكنت قد أمتعتكم بشـدة وا ! سـنعود ثانيـة إلـى الارتجال.. وسنضع في ذاكرتنا أننا نعطي الفرصة لإنسـان يود عرض فنه علينا كي يعطي كل ما عنده.. أنتم حكامي.. فلتحكموا إذن.. أحب أن أطمئنكم، لن يـتم اسـتخدام هـذا المسدس.. لسبب ستعرفونه فـي حينـه.. والآن.. فلنقتـرح مشهدا ارتجاليا آخر.. ممثل هاوٍ يود الاحتراف يتوجه إلـى فرقة كبيرة.. واحدة مـن الفـرق الخاصـة.. يقـف مـع الكومبارس حينما دخل المخرج متأخرا ساعة.. ثم يأتي بعده نجم الكوميديا الأول.. (يؤدى) المخرج.. سـيدخل الأسـتاذ

شمس.. وأنتم في مكانكم تعدون المائدة.. أنت هناك.. أنت.. نعم.. أنت.. تكون قريبا من المائدة.. أعني قريبا من البـاب يا بني آدم.. إفهم الأشياء وحدك!.. كن لماحا.. حينما دخـل الأستاذ شمس تضحك في وجهه في بلاهة.. سيضـحك هـو لحظة ثم يستدير شارعا في الخروج.. تستدير أنت أيضـا.. يعود فجأة. ويصفعك على قفاك.. فتضحك أكثـر.. وكلمـا أعطاك على قفاك تضحك أكثر... مفهوم؟ ..رد!

الكومبارس (في تردد) حاضر.

النجم الأول (ينفرد بالمخرج) هذه منطقة كوميديا لا ترسم حركتها واتركها لي.. هذا "الجدع" شـكله لذيـذ.. ومغـر.. سأصنع منه كوميديا.. المخرج: أوكيه.. نعتبر هذا المشـهد مرسوما!.. أنت.. لا تتجاوز.. تُضرب.. تضحك.. هذا كـل ما تفعله وإلا أفسدت العمل.. مفهـوم؟.. يـرد الكومبـارس (هاربا بعينيه): حاضر!

المشهد الثاني الكومبارس في غرفة نوم ابنتـه.. (يرجـع وهو يغني لابنته في سريرها).

تدخل زوجته وتسأله: نامت؟

- تماما.

- حسين.. أريد أن أتحدث معك قليلا.
- اسمعي يا وفاء.. أنا مرهق للغاية يـا حبيبتـي.. إذا كنت تريدين التحدث بخصوص عملي في المسرح فما كان عندي سلمتهم إياه.. لم يبقَ شيء آخـر أعطيـه لأتقاضي عنه أجرا.. وموظف.. لن أعمل موظفًـا.. ومتى أكبر.. لا أعرف.. ومتى أخرج من صـفوف الكومبارس لا أعرف.. وكيف آتـي بالمزيـد مـن المال.. لا أعرف.. لا أعرف على الإطلاق..
- الأشعة أولا.. هكذا قال الطبيب.. والأشعة تحتاج إلى المال.. والطبيب لن يعالجها مجانًا.. والدواء لن نجده في الطرقات.
- أنت تضغطين على مقتل.. إنها ابنتي.. وأنا أعمل ما عندي.. كل ما عندي.
- أنا أخبرتك والأمر لك (تنصرف).

(يرجع ثانية إلى فراش ابنته):-

غدا أو بعد غد.. أقبض مستحقاتي.. أقبض بعض المال..

لا تخشي شيئا.. أنا لن أتركك.. (يغني المقطع الطفولي).

المشهد الثالث الكومبارس فـي البروفـا (ينفجـر مـن الضحك.. يبدو كأبله، يتلقى الصـفع علـى قفـاه.. يعـاود الضحك).. المشهد الرابع.. الكومبارس في غرفة نوم ابنته.. (يؤدي)

أحضرت لك الدواء.. أتيت متـأخرا بعـض الشـيء.. المسرح كان مزدحما فامتدت المسرحية.. قومي يا حبيبتي.. الدواء جاهز.. ستشفين.. أنت وردة هذا البيت.. قومي حتى تقوم ماما من رقادها هي الأخرى.. كلما مرضتِ مرضتْ.. هيا.. لا.. لا تتنفسي ببطء.. أنا أحضرت لك الدواء.. هيا.. هيا يا حبيبتي.. تحملي.. لم لا تردين على بابا؟ هـه؟ بابـا أحضر لك الدواء.. قومي يا عين بابا.. ماما سـتفرح بـك تجرين ثانية في البيت.. في إمارتـك الصـغيرة.. تلعبـين وتكسرين الأشياء ونلمها وراءك ونحـن غاضـبون أحيانـا ووجوهنا كوجوه المستيقظين توا من النوم.. وأحيانا نضحك على ما تفعلينه.. قومي يا ماما.. قومي كلمي بابا.. أنت قوية كالكبار.. هيا أرينا قوتك.. هيا يا حبيبتي.. لم لا تحدثين بابا؟ هه؟ بابا أحضر لك الدواء.. بابا.. أح..ضر.. لكِ الد..دواء.

المشهد التالي (يخرج المسدس ويصوبه إلى قلبه وينتظـر لحظات، يصوب المسدس إلى الأمام.. لحظات.. يسقط مـن يده.. يهمس في جمود) ماتت.. هذه هي الحقيقة.

(ينهار ببطء) ما كان يجب أن أحترف التمثيـل.. أهـذه مهنة؟ مهنة لا أعرف كيف أنفق منها عليها وأراقبها تـذوي بين يدي؟ ليتكِ أخذتها مني قبل أن أقتلها بغبائي.. ليتك فعلت ما تمنيت من بعدها أن تفعليه.. ليتك أخذتها وهربت.. فـيم كان إخلاصك؟ ولمن؟ ماتت وهي لم تبلغ الرابعة بعد.. ماتت وأنا لم أصبح شيئًا.. أي شيء.. والذين أدافع عنهم لم يدافعوا عني.. الذين أموت من أجلهم لا يعرفونني.. أنا لا أشـاهدني في عيون الآخرين.. هبة.. كان اسمها هبة.. كنت أريدها أن تكبر.. كنت أريد أن أمنحها كل شيء.. (يلتقط المسدس)

كل الطرق تؤدي إلى نهاية واحدة.. أين الشـبابيك التـي ستطل منها الجماهير حين أمر لتلوح لـي بكفوفهـا؟ أيـن الطريق إلى دائرة الضوء؟ أين الطريق إلى الخشبة؟ مـن ذا يضيء الكواليس بحثًا عن نجم راقـد فيهـا؟ نجـم معـتم.. كالليل.. كالهاتف.. كالحجر.. أين الطريق إلى الخروج.. أين ما يمكن أن يمسك بالأيدي!! أيـن هبـة؟ (صـوت سـيارة

البوليس في الخارج) كنت أعرف أنهـم سـيأتون.. وكنـت أعرف أن مسئول الأمن سيشرب الشاي بعيدا كما اتفقنا ثـم يبلغ البوليس.. معذور.. فالرشوة التي تقاضاها تكفي لإسكاته ساعة من الزمن.. لكنها لا تكفي لإسكاته للأبد.. معـذور.. فماذا سيقول لهم؟ له العذر.. ولي أيضـا.. ولكـم جميعـا.. الأوراق معكم.. لكم أن تملؤها أو لا تملؤها.. أن تقولوا عني جيد أو لا شـيء.. يتسـاوى الأمـران.. فـاملئوا الأوراق بمعرفتكم.. انفك الاحتجاز.. أنتم الآن أحرار.. مفاتيح الغرف (يلقيها على الأرض) مفتاح القاعة (يخرج مفتاحا) معـذرة.. الشرطة في انتظاري.

(يفتح الباب ويخرج بعد أن يقبل طفلة من بين الحاضرين على رأسها.. يخرج ومسدسه مدلى في يده.. طلقة تـدوي.. يعود راكضا.. غارقًا في الدم.. يسقط.. يزحف حتى يصـل إلى الخشبة.. يتمسك بالأرضية.. يرفع مسدسه إلى أعلـى.. يضغط على الزناد.. لا طلقات بالمسدس).

* * *

(تمت)

ديسمبر ١٩٨٦